الدروس التربوية

من الأمثال القرآنية

أ. أناهيد بنت عيد السميري

رمضان ١٤٤٥ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

"النحل: ٧٥ - ٧٦ "

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القرآن الكريم ربيعًا لقلوبنا، ونورًا لصدورنا، وجلاءً لأحزاننا وهمومنا، اللهم آمين. ونسأله بمنّه وكرمه، كما بلّغنا هذا النهار، أن يبلغنا ليالي العشر، نقومها إيمانًا واحتسابًا، حتى نلقى تلك الليلة الجوهرة؛ ليلة القدر. ليلة من أعظم ليالي العمر، ليلة العبادة فيها كعبادة ألف شهر، أرشدنا رسولنا -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بعباداتها من القيام مع تلاوة القرآن، ومن الدعاء مع الذكر، ومن الاعتكاف والابتعاد عن الانشغالات، هذه أعظم العبادات في تلك الليلة المباركة، التي أرشد إليها نبينا -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ومن أعظم ما يكون في قلب العبد تجاه هذه العشر الشعور بنعمة الله. نعمة هذا الشرع المبارك، وهذا الفضل العظيم الذي سيجد أثره لما يلقى رب العالمين يوم الدين. من أعظم ما يميز تلك الليلة: نزول الملائكة الكرام. فلنكن لهذه العشر القادمة معظّمين، شاعرين

بقدرها شاكرين لرب العالمين شكرًا بألسنتنا وأفئدتنا وأعمالنا. وأعظم دليل على الشكر: العمل (اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا)[1]، فكل طاعة وعبادة من شكر الله، عزَّ وجلَّ. فلنقبل على هذه الأيام المباركة ونحن شاعرين بنعم الله، ونعم الله كثيرة. واليوم ستكون السورة التي سنتدارسها لنفهم الأمثال فيها، هي سورة النعم؛ سورة النحل، سورة من أعظم سور القرآن في إدخال الأمن على الإنسان وفي إدخال الطمأنينة على الإنسان. من أولها رب العالمين أخبرنا عن نعمائه، سبحانه وتعالى. إلى أن تجد في ثناياها وعدًا من رب العالمين: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) وعده رب العالمين بالحياة الطيبة ووعده بأن يجزيه أجرًا عظيمًا. فهذه السورة، هذا جوها، وهذا حالها؛ تعِد بالحياة الطيبة وبالأجر العظيم، مقابل شيء مهم، شيء كلنا نشعر به، وهو شكر نعم الله المحيطة بنا. وانظر من أول السورة، ستجد البدء بأعظم النعم على الإطلاق، وهي السبب الرئيس للحياة الطيبة. نقرأ أول آيتين في السورة:

---

[1] () سبأ: 13.

(أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (1) يُنَزِّلُ الملَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ)

هذه من أعظم نعم الله على الإطلاق، وهي التي نعيشها بفضل الله، نعيشها في كل حياتنا وفي هذه الأيام المباركة خاصة، نعمة الوحي، نعمة نزول الوحي الذي هو حياة للإنسان. فبدأت الآية بهذا الخبر؛ نعمة الوحي الذي من ورائه عقيدة سليمة يعيش الإنسان بها. عقيدة تثبته -كما مر معنا في سورة إبراهيم- في الأرض وتجعل أعماله صاعدة إلى السماء. إن كان بدنه في الأرض، فبدنه وروحه ثابتة، وروحه سامية، وهذه المشاعر تزيد مع فرص الإيمان، التي يعطيها الرحمن لعباده، ومن ذلك ما نحن بصدده من هذه العشر الأخيرة من شهر رمضان، نسأل الله أن يوفقنا لاغتنامها. فذكر -سبحانه وتعالى- هذه النعمة في مطلع سورة النحل، ذكر هذه النعمة العظيمة، وذكر بعدها -وهذا يطول بيانه- مجموعة من نعمائه، سبحانه وتعالى. لكن تلحظ في كل الآيات التي تأتي بعد ذلك تكرار كلمة تدل على كرامة الإنسان عند رب العالمين، وأنه المنعم على عبده -سبحانه وتعالى- المكرّم له. تكررت كلمة (لَكُمْ)،

تسعة عشر مرة في خمسة عشر آية من هذه السورة المباركة. (وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ)، (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ)، (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ۖ لَّكُم)، (يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ)، (وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)، (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ)، (إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ)، (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً)، (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ)، (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ)، وقال -عزَّ وجلَّ- بعدما ذكر مثل المرأة التي نقضت غزلها: (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).

وهكذا لو تتبعت هذه الكلمة العظيمة لوجدت منن الله الكثيرة لك أنت أيها الإنسان الذي خلقك الرحمن، خلقك ليكرمك، فأكرم نفسك بطاعته وعبادته. بل سنجد أمرا آخر بديعا عجيبا، أن الله -عزَّ وجلَّ- قد جعل لهذا الفؤاد -الذي فيه العقل- محطات ومواقف ليصل إلى الكمال، فأخبرنا -وقد تكررت كلمة (لَعَلَّكُمْ) في السورة خمس مرات- أنه (سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) وقال: (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، وأخبر أنه (وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ

رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)، (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)، (لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ)، (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ).

يريد الله منا أن نصل إلى الكمال البشري، يريد الله منا أن نسمو، فذكر لنا أمور عظيمة منَّ بها علينا لأجل أن نصل إلى هذا الكمال. وهذا الكمال اسمه العام "التقوى"؛ لذلك هذه السورة تكررت فيها كلمة "التقوى" ثمان مرات، كلمة "التقوى" نفسها ومادتها، ومن أعجب الأشياء أن في آية (81) أخبر الله -عزَّ وجلَّ- عن منَّته في جعل (سَرَابِيلَ) لنا، السرابيل تقينا الحر، (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) فانظر كيف أنها نفس المادة، أرأيت كيف يحب الإنسان أن يقي نفسه في الدنيا من الحر، ومن البأس؛ أن يعتدي عليه أحد؟ كذلك، خذ وقاية من عذاب الله. إلى أن تنتهي السورة (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ). ولا زلنا نقول إن رب العالمين يريد منا أن نصل إلى الحق، أن نهتدي إليه، ألا نضل في الطريق، ألا تخطفنا الشياطين، ونكون مثل الذي في الأرض حيران قد تخطفته الشياطين؛ لذلك تكرر في القرآن وفي هذه السورة خاصة قوله تعالى: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ

لَآيَةً)، (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ) من أجل أن تفكر، فكر في الآيات. بل إن كلمة "العلم" بمشتقاتها جاءت في هذه السورة ثمان وعشرون مرة؛ لأن السورة طويلة لا نستطيع أن نمر على كل التفاصيل، لكن المقصد أن هذه السورة مليئة بالإرشادات التي تصل بالإنسان إلى الأمن في الدنيا والآخرة. وفيها آية فيها وعد بأنه -عزَّ وجلَّ- سيحيي الإنسان حياة طيبة وآمنة إذا آمن وعمل صالحًا.

هذه النعم التي تكرر الخبر عنها، تكرر باسمها، تكررت كلمة "نعمة" بالإفراد والجمع في السورة تسع مرات. كلها إشارة إلى عظم نعم الله -عزَّ وجلَّ- على خلقه. وتكررت كلمة "الشكر" أربع مرات وكلمة "رزق" بصيغاتها المختلفة تكررت عشر مرات. كل هذا أكيد أنه يشير إلى شأن عظيم من شؤون رب العالمين مع خلقه، ألا وهو: إكرامه للخلق بالنعم، إكرامه للخلق بالوحي، إكرامه للخلق بالآيات من أجل أن يهتدوا إلى الطريق ويعرفوا أن لا أحد أبدًا يمكن أن يماثل رب العالمين، الله وحده المنفرد بالكمال، والخلق كلهم في غاية الفقر، والضعف والعجز. فلا يمكن أن يرقى أحد في نفسك، أو يمتلئ به فؤادك أو يميل إليه

وجدانك في الرجاء أو في الخوف أبدًا، وإنما كل الرجاء لله وحده، وكل الخوف من الله وحده، وكل التقوى من سخطه، وكل الإقبال والطلب لرضاه، اللهم بلغنا مراضيك واجعلنا من الأتقياء يا رب العالمين.

أمام هذه المعاني العظيمة، أخبر -عزَّ وجلَّ- عن قوم يساوون بين الله وبين خلقه، ويضربون لله الأمثال، فتجدهم يفكرون في غير الله، ويتعلقون بغير الله، ويركنون لغير الله، كأنه مثل الله، تعالى الله عن ذلك. هذا المعنى سنجده في المثلين المضروبين في هذه السورة المباركة في الآيات (74) و(75) من سورة النحل، نأخذ المثلين، ونأخذ السياق القريب السابق لهم، وإلا فالسورة مليئة بالمعاني، لكن نأخذ السياق القريب حتى نتصور في أي شيء ضرب المثل، نبدأ من آية (73) إلى (76):

(وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (73) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (74) ۞ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (75)

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) معطوفة على الأخبار السابقة، التي فيها ذكر لنعماء الله -عزَّ وجلَّ- ولعطائه. يخبرنا رب العالمين عن النعم؛ وهو المنعم على خلقه بالنعم العظيمة التي شرحها فيما مضى، وبدأت في أول السورة أخبار عن النعم، ثم أتت أيضًا هنا في هذا الموطن أخبار عن النعم: إنزال الماء من السماء وإحياء الأرض والأرزاق التي تأتي بعد ذلك. وخلق الأنعام وما فيها من عبرة وكيف يسقيهم الله -عزَّ وجلَّ- ويخرج هذا اللبن خالصًا سائغًا للشاربين من موطن لا يُتصور فيه أن يُخرج أبيض صافيًا، ويخبر -عزَّ وجلَّ- عن ثمرات النخيل والأعناب، وكيف استخدمها الناس وكيف ذاقوا من ورائها هذه العصائر التي يعصرونها ويشربونها ويتمتعون بها. وأعظم ما وصل الناس إليه من نعماء في حلاوة المذاق، وهو مضروب به المثل، هذا العسل الذي أوحى الله إلى النحل، فكانت النحل مطيعة، استجابت لوحي الله. وهذا شيء بديع وعجيب. هذه

السورة اسمها "سورة النحل" للإشارة إلى النحل الذي أوحى الله إليه فاتبعت ما أوحى الله إليها، وهنا الوحي بمعنى الإلهام. لكن نلاحظ هذه الكلمة (وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) أوحى إليها استجابت لوحي الله، فخرج منها هذا العسل الذي فيه شفاء. الله أوحى إلى هذه الحشرة كيف تقيم حياتها، فتلاحظ أن كل شيء تحت تدبيره وأمره -سبحانه وتعالى- وكل شيء فيه صلاح ما دام أنه يتبع ما أوحى الله. هذه كلها نعم ذكرها الله -عزَّ وجلَّ- وذكر أنه خلقنا وأنه يتوفانا، وأنه يفضل بعضنا على بعض في الرزق، وأنه -سبحانه وتعالى- جعل لنا أزواجًا، وجعل لنا بنين وجعل لنا حفدة، كل هذه من نعمائه، عزَّ وجلَّ.

وبعدما شرح أنواعًا كثيرة من نعمائه وكلها دالة على أنه وحده المنعم، أخبر عن هؤلاء، من هم هؤلاء؟ بعد هذا كله قال: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) من؟ (مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ). تصور هذه هي الحال! يتركون الله؛ الذي خلق كل هذه المخلوقات، وجعل فيها من الخيرات ما فيها، (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) هؤلاء الذين لا يملكون أي شيء، لا يملكون مطر، ولا يملكون أن يعطوا أو أن يمنعوا، لا

يملكون إنباتًا، ولا إحياء، ولا يستطيعون أن يتصرفوا حتى في أنفسهم. فهؤلاء جمعوا بين الشرين؛

أولًا: أنهم تركوا رب العالمين، وهذا أعظم الشر.

ثانيًا: اتجهوا لمن لا يملكون لهم رزقًا من السماوات والأرض، فلا ينزلون مطرًا، ولا رزقًا، ولا ينبتون من نبات الأرض شيئًا، ولا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا يستطيعون، لو أرادوا أن يملكوا. وهنا نفهم أنه ربما غير المالك للشيء ربما كان له قوة واقتدار على ما ينفع، صحيح أنه لا يملك لكن يستطيع بقوته أن يتصرف، لكن هؤلاء لا يملكون ولا يقدرون أن يتصرفوا. هذه صفة كل أحد غير الله. يجب أن نثق في هذا؛ ولذلك رب العالمين يريد منا أن نسفه هؤلاء، ونرى أن حالهم أسوأ حال. ولذلك قال: (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ)، لا تجعلوا في نفوسكم أحد مثل الله، لا تجعلوا له أندادًا وأمثالًا، لا تجعلوا في نفوسكم أحد تعاملونه كأنكم تعاملون الله، تتعلقون به، ترجونه، تخافونه، لا أحد يستحق هذا إلا الله؛ ولذلك التوحيد هو سبب النجاة للإنسان في دنياه وأخراه، سبب لأمنه وطمأنينته وراحته، فقال الله -عزَّ وجلَّ-: (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) أنتم لا تعلمون الحقائق من أجل أن تفكروا في

أحد غير الله وتعطوه الكمال. لا أحد يستحق الكمال المطلق إلا الله؛ ولذا حين تفكرون في صفات الله وكمالها، لا بد أن تسبحوا الله وتنزهوه عن أن يشابهه أحد من المخلوقين، (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

بعد هذا أتى المثل، بعدما نهى الله أن نضرب الأمثال له -سبحانه وتعالى- ضرب هو مثلًا، كأنه يقال: "لو كنتم تعلمون الحق لما تجرأتم على أن تجعلوا لله مثيل، فدعوا رأيكم وقياسكم، واسمعوا كيف يبين الله لكم الحقائق." فلما نهاهم الله -عزَّ وجلَّ- عن ضرب المثل، بمعنى أن يجعلوا لله مثيلًا، يعتقدون فيه اعتقادات تشابه اعتقاداتهم في الله. لما نهاهم عن ضرب المثل أعقبه بالكشف لمن كان له بصيرة عن هذه الحال الفكرية السيئة، التي تجعل الإنسان يعظم غير الله ويجعله مثيلًا لله. فضرب الله -عزَّ وجلَّ- هذا المثل.

سنعود مرة أخرى نقرأ المثل الأول في الآية (75):

(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

هذا المثل الأول يصور حال المنعم وغير المنعم. المملوك الذي لا شيء له والحر المنفق. فقال عزَّ وجلَّ: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) يعني أن مثل هؤلاء في إشراكهم مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، تصور في الحياة هناك عبيد وهناك سادة، هذا الكلام على وجود الرق، والرق لا زال موجودًا بأشكال، لكن في حياة البشر عمومًا الرق كان موجودًا بسبب الحروب وغيرها.

فالآن هذا العبد وهذا السيد، نفكر في أحوالهم فنرى أن هناك مملوكًا عاجزًا عن التصرف، عبدًا مملوكًا، "عبدًا" كانت كافية، لكن من أجل ألا يخطر في بالك أي نوع من العبودية، يعني عبد ومملوك، توضيحًا للصورة أن هذا عبدًا مملوكًا لا يملك، هنا انتفى الملك. ربما العبد المملوك يكون سيده قد وكّله بمجموعة من الأموال أو مجموعة من المقدرات يتصرف فيها، لكن هذا لا يقدر على شيء، سيده ما أعطاه أي شيء يتصرف فيه، لا أعطاه قليل ولا كثير، وإنما هو في هذه الحال؛ مملوك، حتى نفسه ما يملكها، وسيده ما مكنه من شيء، فحتى لا يقدر على أي شيء، لا يستطيع أن

يحرك شيئًا من هنا إلى هنا، وإنما هو تحت أمر سيده. تصور هذا! بعدها نتصور الطرف الثاني؛

أمام عبد مملوك سيكون حرًا، وأمام مملوك سيكون مالكًا، فنحن أمام عبد مملوك وحر يملك، العبد المملوك مكفوفة يده، لا يقدر على شيء من التصرف، في مقابل أن الحر الذي يملك قادر على التصرف. وانظر إلى حاله؛ أن هذا السيد مرزوق من الله رزقًا حسنًا، (وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا) المقصود أن عنده خيرًا، كما نعبر. ولأن عنده خيرًا والله -عزَّ وجلَّ- رزقه رزقًا حسنًا من جهة المال، ومن جهة النفس أيضًا؛ لأنه قد يكون الإنسان عنده مال، لكن ما عنده نفس حسنة، ما عنده جود، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان أجود ما يكون، كان -صلَّى الله عليه وسلَّم-، من صفته الجود وكان أجود ما يكون في رمضان. بعدما يتدارس مع جبريل -عليه السلام- القرآن؛ لأنه حين تدخل حقائق الإيمان إلى الفؤاد يسهل الإنفاق.

فهذا السيد الحر رزقه الله مالًا، رزقًا حسنًا، ورزقه نفسًا حسنة. ما دليل هذه النفس الحسنة؟ ينفق من هذا المال سرًا وجهرًا. هذا دليل أن عنده رزقًا حسنًا من المال ومن النفس.

فتصور هذه المقارنة، هل يمكن أن يتساويا؟ هل يستوون؟ هل يستوي عبد مملوك بنفسه لا يملك نفسه وليس له قدرة على التصرف في أي شيء، وحر، يملك، مرزوق، متصرف، قادر على ماله وقادر على نفسه، فهو ينفق منه سرًا وجهرًا. في عقول الناس هل يستويان؟ الجواب: لا مساواة بينهما، مع أنهما سيان في البشرية، والمخلوقية لله سبحانه وتعالى. ربنا خلقهم؛ من جهة البشرية العبد والسيد سواء، ومع ذلك حين تنظر إلى صفاتهم ستقول: "صفة السيد لا تساوي صفة العبد، لا يمكن." لو سئلت: تحب أن تكون في أي موضع؟ فمن المؤكد أنك ستستحسن صفة السيد الذي هو حر، والذي رزق مالًا حسنًا، والذي تمكن من نفسه فأنفق ليلًا ونهارًا، سرًا وجهرًا، أكيد أنك لا يمكن أن تساوي بين الاثنين، ولنفترض أنك صاحب حاجة، وأمامك هذا العبد وهذا السيد، فأي عقل سليم لا يمكن أن يذهب إلى العبد، بل سيتوجه إلى السيد الذي ينفق سرًا وجهرًا. سيتوجه إلى السيد الذي معروف عنه أن عنده أرزاق.

تصور هذا الأمر ونحن نتكلم عن بشر وانظر إلى هذه الجملة؛ فمن باب أولى أن يكون الإنسان عارفًا

لصفة الرحمن، وعارفًا لصفة عبيده، إذا كنا لا نساوي بين العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، وبين السيد الحر المرزوق، المتمكن من الإنفاق، فما الظن برب العالمين؟ ما الظن برب العالمين حيث يشركون به المخلوقات العاجزة، ويميلون إلى هؤلاء الضعفاء الذين لا يقدرون على شيء، هذا ينفق من فضل الله، لاحظنا (وَمَن رَّزَقْنَاهُ) يعني ما بيده هو من فضل الله ورزقه، وإنفاقه في السر والجهر عاملًا بأمر الله، من عنده رزق من الله وعامل بأمر الله أي عاقل يفضله على العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء.

من عنده رزق من الله تفضله على هذا العبد المملوك، فكيف بك تتجه للعبيد وتترك الرازق، سبحانه وتعالى؟ لذلك نتذكر الآية (73) (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا) ولا شيء، ولا يستطيعون ذلك.

فهؤلاء اتجهوا للعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، وكل الناس هذه صفتهم في الحقيقة. فهنا نلاحظ أن هذا المثل يسمى بقياس الأولى، بمعنى إذا كنت ترى أن البشر مع تساويهم في البشرية لكن لا يمكن أن نجعل العبد مثل الحر، والعبد الذي لا يملك مثل الحر الذي

يملك، والعبد الذي لا يستطيع أن يتصرف، مثل الحر الذي يستطيع أن يتصرف، لا يمكن أن يساوى بينهم، فكيف تساوي العبيد برب العالمين؟ من باب أولى أن العبيد لا يساوون برب العالمين؛ ولذلك رب العالمين قال: (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ما هدى أولياءه وأنعم عليهم من التوحيد. الحمد كله يستحقه الله، وكل أحد غيره في درجة العبيد، الحمد لله الذي بيّن لنا التوحيد وأظهر لنا الحجة، فكان أهل التوحيد على طريقتهم سائرين، سالمين، في طريقهم لرب العالمين. الحمد لله على ظهور الحجة وبيانها. هذا المثل الأول كان في المُنعم وغير المُنعم، نرى المثل الثاني في الذي يهدي ويرشد، والذي لا يهدي ولا يرشد.

(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)

هذا المثل الثاني فيه إشارة للذي يهدي ويرشد والذي لا يهدي ولا يرشد. يوجد الأبكم الذي لا يهدي لشيء ويوجد من يأمر بالعدل. يقول عزَّ وجلَّ: (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) يعني مثل آخر يدل على هذا المعنى الذي أشرنا إليه وأنه لا يمكن أن يساوى بين رب العالمين وبين

المخلوقين، في الأول فهمنا أن هناك مُنعمًا، وأن هناك غير مُنعم.

سنرى المثل الثاني: هذا المثل فيه (رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ) والأبكم الأخرس، فهو عاجز عن الإدراك وعن العمل، فتتعذر الفائدة منه، لا تستطيع أن تستفيد منه، هذا الأبكم لا يقدر على شيء.

(وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ) والكلّ يعني العالة على الناس، الكلّ أصلها: الثقل، و (كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ) يعني الذي يلي أمره، فهو عالة على كافله لا يدبر أمر نفسه، وبعد ذلك أيضًا رب العالمين زاد وصفه بقلة الجدوى بقوله: (أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ)، مولاه في عمل ليعمله أو يأتي به، (لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ) لا يهتدي إلى ما وجه إليه.

فتصور مقدار الإعاقة الموجودة عند هذا الشخص، مقدار الإعاقة عن عمل الخير أو عمل مفيد. يقابل هذا (مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)، هنا إشارة إلى أنه حكيم، عالم بالحقائق، ناصح للناس، يأمرهم بالعدل؛ لأنه لا يأمر بالعدل إلا وعنده علم، وعنده بصيرة. ما المقصود بالعدل؟ الحق والصواب. تصور رجلًا أبكم لا يتكلم، ولا يقدر على شيء، ليس متمكنًا

أبدًا من أن يفعل شيئًا، ما عنده أي قدرات، عاجز عن الإدراك وعن العمل، (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ) ثقيل عليه، لا يستطيع أن يحصل حتى مصالح نفسه، وحين يحاول مولاه أن يعطيه مهارات، يكسبه قدرات، يجعله يتوظف هنا أو يعمل هنا، (لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ)، بل تفهم أنه يمكن أن يأتيه بمشاكل ويأتيه بمصائب، تصور هذا الأبكم والذي لا يقدر على شيء، وحتى لا يستطيع أن يتصرف في بقية حواسه، والثاني يأمر بالعدل.

تخيل هذا الإنسان المتعلم الناصح الذي يرشد إلى الحق والصواب، يفقه إيصالهم وبيانهم، وأيضًا مدح بمدح أخير (وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) الصراط المستقيم بمعنى المحجة التي لا التواء فيها، فهو يأمر الناس بالعدل، وهو بنفسه سيرته وسلوكه صالحًا. كأنك تتصور أنه سالك على الصراط المستقيم.

الآن انظر إلى المقارنة بين إنسان هذا وصفه؛ هو بنفسه على صراط مستقيم ويأمر بالعدل، ينصح الناس ويبين لهم، هل يمكن أن يستوي الاثنان؟ لا يمكن أن يستوي هو سائر على الصراط المستقيم ويتكلم بالخير، والثاني الذي لا يستطيع إرشادًا، بل هو يحتاج إلى من يكفله.

إذًا هناك من يهدي ويرشد، وهناك من لا يهتدي، فكيف به أن يهدي؟ في حكم الخلق كل هؤلاء لا يمكن أن يتساووا، ولو أردت السؤال أو الإرشاد لا يمكن أن تذهب لهذا الأبكم الذي لا يقدر على شيء (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ)، ولا يستطيع أن يتجه اتجاهًا صحيحًا، لا يمكن أن تذهب لهذا تسأله أو تسترشده، وإنما تسترشد من عرف عنه أنه (مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) بنفسه. يعني ليس منافقًا؛ يتكلم بالخير وسيرته ليس فيها خير، بل هو سائر على الصراط المستقيم ويرشد إلى الصراط المستقيم، والأول لا يعرف كيف يسير على الصراط المستقيم، بل هو كلّ على مولاه، وأبكم لا يستطيع أن يتكلم.

فهذا الفرق الكبير بين من يهدي ويرشد والذي لا يهدي ولا يرشد، هذا الفرق الكبير الذي نشعر به وهم كلهم بشر، ولله المثل الأعلى! كيف يمكن لإنسان أن يترك منهج الرحمن، وإرشاداته وأحكامه التي هي حقًا نعمة من نعم الله. من أعظم نعم الله أن علمك الله عن نفسك، وعلمك الله عن الكون، علمك من أين أتيت وإلى أين المصير، علمك ما يجب عليك أن تفعل. علمك عنه -سبحانه وتعالى- علمك إذا خفت كيف تلجأ، وإذا جعت

من تطلب، بل علمنا بإرسال رسوله الكريم وقد بدأت السورة بالإخبار عن نعمة الوحي، علمنا عن طريق رسوله الكريم كيف ننام على فراشنا وماذا نقول. كيف يكون حالنا حين نستيقظ، في أدق التفاصيل أنت مرشد، حتى كيف تقضي حاجتك تعرف ماذا تفعل. بل بأي قدم تدخل وبأي قدم تخرج، وضِّحت لك الأمور. كيف تترك هذا الميراث العظيم الذي يرشدك إلى أدق التفاصيل، وتذهب لكلام الخلق وغثاءهم، الخلق لا يعرفون من أين أتوا وإلى أين المصير، هل سيعرفون ماذا يجب عليهم أن يفعلوا؟ لا والله لا يعرفون، بل إنهم يلقون الناس في الحضيض، ولذلك لا تنتظر من مثل هؤلاء لا فهم للمشاكل ولا حلول لها. ونؤكد أن هؤلاء العمي البكم الذين لا يأتون بخير مثل من هو (كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ)، لا يمكن لمثل هؤلاء أن يأتوا بمنهج، لا يمكن لمثل هؤلاء أن يفهموا المشكلة أصلًا من أجل أن يضعوا لها حلًا، بل هؤلاء يتخبطون في دياجير الظلام، فكيف يُهتدى بالأبكم؟ الأبكم لا يقدر على شيء، كلّ على مولاه، أينما يوجهه لا يأتي بخير، لا نفعوا في أسرة، ولا نفعوا المرأة، ولا نفعوا الطفل، أينما يوجّهون لا يأتون بخير، فساد إلى نهاية ما يتصور الإنسان. فيُترك الحق المبين

الذي جاء من عند رب العالمين ويُطلب ما أخرجت عقول البشر من أوساخ! الله المستعان.

كل هذا تجمعه هذه الكلمات العظيمة في المثل، (يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) ما أعظم الوحي! ونتذكر أن سورة النحل التي أخبر فيها الله -عزَّ وجلَّ- عن النحل وأنه يوحي إليه وأن النحل يسير كما يأمره رب العالمين، فتكون مملكته المنظمة، ويكون إنتاجه الذي هو أحلى ما ذاق البشر، فكيف أنت يا عبد تترك (مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وتأخذ أقوال هؤلاء المنحرفين، نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من أن ننحرف عن الصراط المستقيم أو أن نثق في شيء غير شرع رب العالمين.

ولنسأل الله، صادقين، أن يطهر قلوبنا من لوثات أفكار المخلوقين، وأن يملأ أفئدتنا بالوحي، فهمًا وعلمًا وبصيرة، اللهم آمين، نسأله -سبحانه وتعالى- أن نكون من (مَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ).

والحمد لله رب العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.